

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ¹

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِم.

نَبِيِّنَا، الْإِيمَانَ وَالِاسْتِقَامَةَ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَقَابِلُ!

ذَاتِ يَوْمٍ جَاءَ أَحَدُ الصَّحَابَةِ إِلَى نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا بَعْدَكَ، ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "قُلْ آمَنْتُ بِاللَّهِ ثُمَّ اسْتَقِم"¹.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَاءُ!

إِنَّ الْهَدَفَ مِنْ إِتْرَالِ دِينِنَا الْعَظِيمِ الْإِسْلَامِ هُوَ بِنَاءُ مُجْتَمَعٍ مَثَالِي يَتَكَوَّنُ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَهُوَ إِنْشَاءُ عَالَمًا يُمَكِّنُ لِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ أَنْ تَعِيشَ فِيهِ بِأَمَانٍ وَسَلَامٍ. وَلِهَذَا رَزَقَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْعَقْلِ وَالْإِرَادَةِ. وَلِهَذَا أُرْسِلَ كُتُبُ الْهُدَى وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يُمَثِّلُونَ الْحَقَّ وَالْحَقِيقَةَ. وَمَعَ ذَلِكَ، فَقَدْ أَوْضَحَ لَنَا رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ أَيْضًا الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ نَتَّبِعَهُ. وَهَذَا الطَّرِيقُ هُوَ أَنْ نُؤْمِنَ حَقًّا بِرَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ وَنَعِيشَ حَيَاتِنَا فِي الْإِتِّجَاهِ الصَّحِيحِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكِرَامُ!

الْإِيمَانُ: يَعْنِي أَنْ نَكُونَ عِبَادًا مُخْلِصِينَ لِرَبِّنَا عَزَّ وَجَلَّ. وَهُوَ أَنْ نَعِيشَ حَيَاتِنَا مُفْتَدِينَ بِنَبِيِّنَا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). الْإِيمَانُ يُحَرِّرُ الْإِنْسَانَ وَيَهْدِيهِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، الْإِيمَانُ يُعَلِّمُ الْإِنْسَانَ الْهَدَفَ مِنَ الْخَلْقِ وَمَسْئُولِيَّاتِهِ. وَيُعْطِيهِ هُويَّةً وَشَخْصِيَّةً.

وَمُقْتَضَى الْإِيمَانِ الْإِسْتِقَامَةُ، أَيْ جَعْلُ الْجَوْهَرِ وَالْأَلْفَاظِ وَاحِدَةً. أَيْ أَنْ تَكُونَ نَبِيَّهُ مُوَافَقَةً لِأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ. الْإِسْتِقَامَةُ يَعْنِي تَشْكِيلَ حَيَاةِ الْمَرْءِ وَفَقًّا لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). يَعْنِي تَقْدِيمَ رِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ عَلَى الْجَمِيعِ وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَقَابِلُ!

طَالَمَا أَنَّ الْإِسْتِقَامَةَ تَنَعَّكُسُ فِي إِيْمَانِنَا، وَفِي عِبَادَتِنَا، وَفِي أَخْلَاقِنَا، فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَكُلِّ مَجَالٍ مِنْ مَجَالَاتِ حَيَاتِنَا، فَإِنَّهَا تَصِلُ إِلَى مَعْنَاهَا الْحَقِيقِي.

الْإِسْتِقَامَةُ فِي الْإِيمَانِ هُوَ أَنْ لَا تُشْرِكَ مَعَ اللَّهِ شَيْئًا. يَعْنِي إِحْتِصَانِ التَّوْحِيدِ وَالْوَحْدَةِ. "فَاسْتَقِم كَمَا أُمِرْتَ"². إِنَّهَا الْإِرْتِبَاطُ الصَّادِقُ بِأَيْتِهِ.

فَالِاسْتِقَامَةُ فِي الْعِبَادَةِ هُوَ أَنْ نَبْقَى مُخْلِصِينَ لَوَاجِبَاتِنَا فِي الْعِبَادَةِ حَتَّى يَأْتِيَنَا الْمَوْتُ. وَأَنْ نَجْعَلَ عِبَادَتَنَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحْدَهُ. فَهُوَ تَطْهِيرُ النَّفْسِ مِنْ كُلِّ أَنْوَاعِ النَّفَاقِ وَالرِّيَاءِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعْرَاءُ!

الْإِسْتِقَامَةُ فِي الْأَخْلَاقِ هِيَ: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ"³. وَهِيَ أَنْ تَتَّخِذَ أَخْلَاقَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) كَقُدْوَةٍ. وَأَنَّهَا جَعْلُ الْمَحَبَّةِ وَالْمَوَدَّةِ وَاللُّطْفِ وَالظَّرَافَةِ سَائِدَةً فِي حَيَاتِنَا الْعَائِلِيَّةِ. وَأَنْ لَا نَلْجَأَ أَبَدًا إِلَى الْأَكْذَابِ وَالْحِدَايَةِ وَالْقَسْوَةِ وَالظُّلْمِ. وَأَنْ نَتَّجَنَّبَ السُّلُوكِيَّاتِ الَّتِي تَنْتَهِكُ حُقُوقَ الْإِنْسَانِ وَالْحُقُوقَ الْعَامَّةِ. يَعْنِي أَنْ نُبْعِدَ كُلَّ مَا هُوَ حَرَامٌ وَمَعْصِيَةٌ عَنْ أَيْدِينَا، وَلِسَانِنَا، وَبَيْتِنَا، وَعَمَلِنَا، وَبِاخْتِصَارٍ، عَنْ كُلِّ جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِ حَيَاتِنَا.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْكِرَامُ!

تَعَلَّمْنَا الْإِسْتِقَامَةَ فِي الْإِيمَانِ، وَالِإِخْلَاصَ فِي الْعِبَادَةِ، وَالصِّدْقَ فِي الْأَخْلَاقِ مِنْ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ الْمُصْطَفَى (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ). وَتَعَلَّمْنَا مِنْهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الْحُبَّ وَالِإِحْرَامَ وَالْمَوَدَّةَ وَتَقَافَةَ الْعَيْشِ الْمُسْتَشْرَكَ فِي أُحُوَّةٍ. فَلَقَدْ عَلَّمَنَا أَنْ نُطِيعَ وَالِدِينَا، وَأَنْ نَكُونَ مُخْلِصِينَ لِأَزْوَاجِنَا، وَأَنْ نَعَامِلَ أَطْفَالَنَا بِالرَّحْمَةِ، وَأَنْ نَحْتَرِمَ حُقُوقَ جِيرَانِنَا. وَتَعَلَّمْنَا مِنْهُ الْبَشَرِيَّةَ جَمْعَاءً أَنَّ الْفُضْلَ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا هُوَ بِالتَّقْوَى، وَأَنَّ النَّاسَ سَوَاسِيَةٌ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ.

فَكَمْ هُمْ سَعْدَاءُ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعِيشُونَ حَيَاتَهُمْ فِي الْإِسْتِقَامَةِ الَّتِي أَمَرَ بِهَا رَبُّنَا وَعَلَّمَنَا يَا هَا نَبِينَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَكَمْ هُوَ سَعِيدٌ مَنْ تَطَهَّرَ مِنَ الْمَشَاعِرِ وَالْأَفْكَارِ السَّيِّئَةِ كَالصَّغِينَةِ وَالْبَغْضَاءِ وَالْعَدَاوَةِ وَالْحَسَدِ الَّتِي تُحِيدُهُ عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ.

وَأُنْهِى حُطْبَتِي بِالْآيَةِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي يُبَشِّرُ فِيهَا رَبُّنَا الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ: "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ"⁴.

¹ إِبْنُ حَنْبَلٍ، الْجُزْءُ الثَّلَاثُ، 413.

² سُورَةُ هُودٍ، 11 / 112.

³ إِبْنُ حَنْبَلٍ، الْجُزْءُ الثَّلَاثُ، 381.

⁴ سُورَةُ الْكَهْفِ، 46 / 13.